



الحج في الأدب العربي

إدارة التحرير

مناجاة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لك الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعلَا
إلهي وخلاقِي وحرزي وموئلي
إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي
إلهي فلا تقطع رجائي ولا ترغ
إلهي لئن خيبتني أو طردتني
تباركت تُعطي من تشاء وتمنعُ
إليك لدى الإعسار واليسر أفرعُ
فعفوك عن ذنبي أجلُّ وأوسعُ
فها أنا في أرضِ الندامة أرتعُ
وأنت مناجاتي الخفية تسمعُ
فؤادي فلي في سيبِ جُودك مطمعُ
فمن ذا الذي أرجو ومن لي يشفعُ



إلهي أجزني من عذابك إنني
إلهي فأنسني بتلقين حجتي
إلهي لئن عذبتني ألف حجة
إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا
إلهي إذا لم ترعني كنت ضائعاً
إلهي إذا لم تغف عن غير محسن
إلهي لئن فرطت في طلب التقى
إلهي لئن أخطأت جهلاً فطالما
إلهي ذنوبي جازت الطود واعتلت
إلهي ينجي ذكر طولك^١ لوعتي
إلهي أنلني منك روحاً ورحمةً
إلهي لئن أقصيتني أو طردتني
إلهي حليف الحب بالليل ساهر
وكلهم يرجو نوالك راجياً
إلهي يُمنيني رجائي سلامةً
إلهي فإن تغفو فعفوك مُنقذي

أسيرٌ ذليلٌ خائفٌ لك أخضع
إذا كان لي في القبر مثوىً ومضجع
فحبلى رجائي منك لا يتقطع
بنون ولا مالٌ هنالك ينفع
وإن كنت ترعاني فلست أضيع
فمن لمسيء بالهوى يتمتع
فها أنا إثر العفو أقفو وأتبع
رجوتك حتى قيل ها هو يجزع
وصفحك عن ذنبي أجل وأرفع
وذكر الخطايا العين^٢ مني تدمع
فلست سوى أبواب فضلك أقرع
فما حيلتي يا رب أم كيف أصنع
يُنادي ويدعو والمغفل يهجع
لرحمتك العظمي وفي الخلد يطمع
وقبح خطيئاتي^٢ عليّ يشيع
وإلا فبالذنب المدمر أصرع

١ - طولك: فضلك وإحسانك.

٢ - خطيئتي.



(إلهي بحق الهاشمي وآله
إلهي فانشرنني على دين أحمد
ولا تحرمني يا إلهي وسيدي
وصل عليه ما دعاك موحد^١)
وحرمة إبراهيم خلّك أضرع^٢
تقيماً نقيماً قانتاً لك أخشع^٣
شفاعته الكبرى فذاك المشفّع^٤
وناجاك أختياراً ببابك ركّع^٥

* * *

القصيدة الدالية لابن فارض

خفف السير

خفف السير واتّئد، يا حادي
ما ترى العيس بين سوق وشوق
لم تبقي لها المهامة جسماً
وتحفت أخفافها، فهي تمشي
وبراها الونى، فحلّ براها
إنما أنت سائق بفؤادي^٢
لربيع الربوع، غرتي، صوادي^٣
غير جلد على عظام بواد^٤
من وجاهها، في مثل جمر الرماد^٥
خلّها ترتوي ثماد الوهاد^٦

١ - ديوان الإمام علي عليه السلام ، تحقيق الأستاذ: نعيم زرزور.

٢ - اتند: تمهل. الحادي: سائق الإبل.

٣ - غرتي: جائعة. صواد: عطاش.

٤ - المهامة، الواحد مهمه: الفلاة.

٥ - أخفافها، الواحد خف: وهو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. الوجي: الحفا.

٦ - براها: هزلها. الونى: التعب. براها، الواحدة برة: حلقة تجعل في أنف البعير. ثماد الوهاد: بقية الماء في الأراضي المنخفضة.



شَفَّهَا الْوَجْدُ، إِنْ عَدِمْتَ رَوَاهَا
وَاسْتَبَقَهَا، وَاسْتَبَقَهَا، فَهِيَ مِمَّا
عَمَّرَكَ اللَّهُ، إِنْ مَرَّرْتَ بَوَادِي
وَسَلَكْتَ النَّقْمَا، فَأُودَانَ وَدَا
وَقَطَعْتَ الْحِرَارَ، عَمْدًا، لِخَيْمًا
وَتَدَانِيَّتَ مِنْ خُلَيْصَ، فَعَسْفَا
وَوَرَدْتَ الْجَمُومَ، فَالْقَصْرَ، فَالدُّكَّ
وَأَتَيْتَ التَّنْعِيمَ، فَالزَّاهِرَ الزَّا
وَعَبَّرْتَ الْحُجُونَ، وَاجْتَرْتَ، فَاخْتَرُ
وَبَلَغْتَ الْخِيَامَ، فَابْلِغْ سَلَامِي

فَاسْقِهَا الْوَجْدَ مِنْ جِفَارِ الْمِهَادِ^١
تَتْرَامِي بِهِ إِلَى خَيْرِ وَادٍ^٢
يُنْبَعِ، فَالِدَهْنَا، فَبَدْرٍ، غَادِي^٣
نَ، إِلَى رَابِعِ الرَّوِيِّ الثَّمَادِ^٤
تِ قُدَيْدٍ، مَوَاطِنِ الْأَمْجَادِ^٥
نَ، فَمَرَّ الظَّهْرَانَ، مَلَقَى الْبَوَادِي^٦
نَاءَ، طُرًّا مَنَاهِلَ الْوُرَادِ^٧
هَرَ نَوْرًا، إِلَى ذُرَى الْأَطْوَادِ^٨
تَ، اَزْدِيَارًا، مَشَاهِدَ الْأَوْتَادِ^٩
عَنْ حِفَاطٍ، غُرَيْبَ ذَاكَ النَّادِي^{١٠}

- ١ - شفها: أنحلها حتى رقت فظهر ما وراءها. الوجد: الحب. رواها: ما يرويهها. الوجد: سيرة سريعة. الجفار، الواحد جفر: البئر الواسعة. المهاد: الأرض المنخفضة.
- ٢ - استبقها: اسبقها. استبقها: احفظها. تترامى به: تتقاذف به، يريد تسير عليها.
- ٣ - ينبع، والدهناء، وبدر: مواضع. غادي: أراد غادياً أي ميكراً، بالنصب على الحال من التاء في مررت.
- ٤ - النقما، وأودان ودان، ورابع: مواضع. الروي: المرتوي. الثماد: الماء القليل.
- ٥ - الحرار، الواحدة حرة: الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار. قديد: اسم علم.
- ٦ - خليص، وعسفان، ومر الظهران: مواضع. ملقى البوادي: ملتقى أهل البادية.
- ٧ - الجموم: البئر الكثيرة الماء. القصر والدكناء: موضعان. المناهل، الواحد منهل: موضع الشرب. الورد، الواحد وارد: الذي يأتي الماء ليشرب.
- ٨ - التنعيم والزاهر الأولي: موضعان. الزاهر الثانية: المشرق. النور: الزهر الأبيض.
- ٩ - الحجون: جبل. الازديار: الزيادة. الأوتاد: الجبال، وأراد هنا الأولياء الصالحين.
- ١٠ - عن حفاظ: عن تحفظ.



وتَلَطَّفْ، واذكُرْ لَهُمْ بَعْضَ مَا بِي
يا أخلاي، هل يعود التّداني
مَا أَمْرَ الْفِرَاقِ، يَا جِيرَةَ الْحَدِّ
كَيْفَ يَلْتَذُّ بِالْحَيَاةِ مُعَنَّيًّا
عُمْرُهُ وَاصْطِبَارُهُ فِي انْتِقَاصِ
فِي قُرَى مِصْرَ جِسْمُهُ، وَالْأَصِيحَا
إِنْ تَعُدُّ وَقْفَةً، فَوَيْقِ الصِّدِّ
يَا رَعَى اللَّهُ يَوْمَنَا بِالْمُصَلِّي
وَقِبَابِ الرُّكَّابِ، بَيْنَ الْعَلِيمِي
وَسَقَى جَمْعَنَا بِجَمْعٍ، مُلْتَأًا
مَنْ تَمَنَّى مَالًا وَحُسْنًا مَالٍ
يَا أَهْيَلَ الْحِجَازِ إِنْ حَكَمَ الدَّهْرُ
فَغَرَامِي الْقَدِيمِ فِيكُمْ غَرَامِي

من غرامٍ، ما إنْ لَهُ مِنْ نَفَادِ
منكُمْ، بِالْحَمَى، بَعُودِ رُقَادِي؟
ي، وَأَحْلَى التَّلَاقِ بَعْدَ انْفِرَادِ^١
بَيْنَ أَحْشَائِهِ كَوَرِي الزَّنَادِ
وَجَوَاهُ وَوَجْدُهُ فِي ازْدِيَادِ
بُ شَامًا، وَالْقَلْبِ فِي أَجْيَادِي
حيرات رُوحًا سَعِدَتْ بَعْدَ بَعَادِي^٢
حَيْثُ نَدَعَى إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ^٣
ن، سِرَاعًا، لِلْمَأْمِينِ، غَوَادِي^٤
وَلِيَّلَاتِ الْخَيْفِ، صَوْبَ عِهَادِهِ
فَمُنَائِي مِني، وَأَقْصَى مُرَادِي
رُ بَبَيْنِ، قِضَاءَ حَتْمِ إِرَادِي
وودادي، كَمَا عَهْدْتُمْ، وودادي

١ - قوله التلاق: حذف الياء تجوزاً، مراعاة للوزن.

٢ - الصحيرات: موضع بعينه. رواحاً: مساء.

٣ - المصلى: موضع. سبيل الرشاد: طريق الخير.

٤ - العَلِيمِيْن: تصغير لمثنى علم: الجبل. المأزمين: الضيقين.

٥ - ملئاً: دائم المطر، وهو حال مقدم من صوب عهاد، أي المطر من أمطار الربيع.



قَدْ سَكَنْتُمْ مِنَ الْفُؤَادِ سُؤْيِدَا
يا سَمِيرِي رُوحٌ بِمَكَّةَ، رُوحِي
فَذَرَاهَا سِرْبِي، وَطِيبِي ثَرَاهَا
كَانَ فِيهَا أَنْسِي وَمِعْرَاجٌ قُدْسِي
نَقَلْتَنِي عَنْهَا الْحُطُوطُ، فَجَذَّتْ
أَوْ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بَعُودِي
قَسَمًا بِالْحَطِيمِ، وَالرُّكْنِ، وَالْأَسَدِ
وِظِلَالِ الْجَنَابِ، وَالْحِجْرِ، وَالْمِي
مَا شَمِمْتُ الْبَشَامَ إِلَّا وَأَهْدَى

ه، وَمِنْ مُقَلَّتِي سَوَاءَ السَّوَادِ^١
شَادِيًا، إِنَّ رَغَبْتَ فِي إِسْعَادِي^٢
وَسَبِيلَ الْمَسِيلِ وَرَدِي وَزَادِي^٣
وَمُقَامِي الْمَقَامِ، وَالْفَتْحِ بَادِي^٤
وَأَرِدَاتِي، وَلَمْ تَدْمُ أَوْرَادِي^٥
فَعَسَى أَنْ تَعُودَ لِي أَعْيَادِي
تَارِ، وَالْمَرَوَاتِينَ، مَسْعَى الْعِبَادِ^٦
زَابِ، وَالْمُسْتَجَارِ لِلْقُصَادِ^٧
لِفُؤَادِي، تَحِيَّةً مِنْ سَعَادِ^٨

- ١ - سويداه: حبته. سواء السواد: حبته.
- ٢ - سميري: محدثي ليلاً. روح: أعط الراحة.
- ٣ - ذراها: ساحتها. سربي: طريقي. سبيل: طريق. المسيل: أي مسيل الماء.
- ٤ - معراج: مصعد، سلم. الفتح: أراد به النصر. باد: ظاهر.
- ٥ - جذت: قطعت. وارداتي: ما يرد إلي. أورادي، الواحد ورد: الجزء من القرآن.
- ٦ - الحطيم: مكان بمكة. الركن: أحد أركان الكعبة. الأستار: أستار الكعبة، ما تستر به من النسيج. المروتان: هما المروة والصفاء: جبلان في مكة. مسعى العباد: أي حيث يسعى العباد في حجهم.
- ٧ - الجناب: هضاب في مكة. الحجر: أراد حجر إسماعيل في البيت الحرام. الميزاب: أراد ميزاب الرحمة في البيت الحرام. المستجار: اسم موضع.
- ٨ - البشام: شجر طيب الرائحة.



في بيان حقائق مناسك الحج

عبدالرزاق الكاشاني (ت ٧٣٦هـ)

إِنِّي وَإِنْ تَرَنِي لَحَمًا عَلَيَّ وَضَمِّ
مَوْلَايَ مَوْلَايَ مَوْلَى مَا اسْتَعَاذَ بِهِ
وَلَا تَوَكَّلَ مُسْتَقَامٌ وَلَا دَنَفٌ
وَلَا اسْتَعَانَ بِهِ مُسْتَضْعَفٌ وَجِمٌّ
فَثِقَ بِهِ وَتَوَكَّلَ فِي بَلِيَّتِهِ
سَلَّمَ إِلَيْهِ وَجُودًا حَقُّهُ عَدَمٌ
فَوَضَّ إِلَيْهِ أُمُورًا لَا تُصَرِّفُهَا
وَجَرَّدِ الْعِزَّمَ وَأَسْلَكَ فِي مَحَجَّتِهِ
مَا نَالَ مَقْصُودَهُ مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ
إِذَا رَأَيْتَ بَعَيْنِ الْقَلْبِ خَلْوَتَهُ
بِحَوْلِهِ فَلَهُ الْحَوْلُ الشَّدِيدُ إِذَا
لَا كَوْنَ لِلخَلْقِ كَيْفَ الْحَوْلُ عَنْ عَدَمِ
إِذَا قَدَّرْتَ عَلَيَّ ذَا فاعْلَمَنَّ بِهِ
وَاطْلُبْ مَرَاضِيَهُ فِيمَا فَعَلْتَ وَكُنْ

عَوَّلْتُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْلَى عَلَى كَرَمِ
ذُو فَاقَةٍ قَطُّ إِلَّا صَارَ ذَا نِعَمِ
عَلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ عَافَاهُ مِنْ سَقَمِ
إِلَّا وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَزْمَةِ الْغَشَمِ
عَلَيْهِ تَحْظُ بِهِ فِي الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ
أَلَا تُسَلِّمُ مَالَمَ يَبْدُ عَنْ عَدَمِ؟!
فَلَيْسَ فِي يَدِكَ التَّصْرِيفُ بِالْقَلَمِ
سَهْلًا وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْقَدَمِ
وَالْعِزْمِ فِيهِ فُتُورٌ شَابَ بِالنَّدَمِ
فِي صُورَةِ الْقَادِرِ الْفَعَالِ ذَا اعْتَصَمِ
فَعَلْتَهُ فَلَكَ الْوِثْقَى مِنَ الْعِصَمِ
وَالْقُوَّةَ ابْرَأَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَتَّهِمِ
بِأَنَّهُ مُتَقَدِّرٌ إِيَّاكَ لَا تُهَمِّمِ
عَنْ فِعْلِهِ رَاضِيًا فَالْكُلُّ بِالْحِكَمِ



وَاحْرَزْ قُورَاكَ وَمَا مِنْهَا بِرُمَّتِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمُمَكِّنِ الْمَوْجُودِ عَنْ عَدَمِ
وَمَا حَقِيقَتُهُ أَمْرٌ تُخَيِّلُهُ
إِنَّ الْمُوَحِّدَ لَمْ يُبْصِرْ سِوَى أَحَدٍ
فَوَجْهُهُ مُتَجَلِّ، أَيْنَ ذُو بَصَرٍ؟
وَجَّهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ الَّذِي فَطَرَ الـ..
أَحْرَمْتُ عَمَّا سِوَاهُ قَاصِدًا سَنَدًا
مِمَّا حَوَاهُ يَدِي أَوْ ضَمَّمَهُ خَلْدِي
إِذَا خَلَعْتُ صِفَاتِي لِابْسَاءِ صِفَةِ الـ.
وَطُفْتُ بِالْبَيْتِ كَالْأَمْلَاكِ حَوْلَ حَمَى الـ.
وَكُنْتُ إِذْ شَاهَدَ الرُّوحُ الْجَمَالَ كَمَا
ثُمَّ الْمَشَاهِدُ صَفَى الْقَلْبَ عِزَّتُهُ
وَذَاكَ سَعَى مِنْ طُورِ الصَّفَاءِ إِلَى
تُفْنِي الْبَقِيَّةُ مِنِّْي بَعْدَ بَاقِيَّةِ
فَكَانَ آخِرُ أَطْوَارِي لِمُعْتَمِرِي
فَأَوْجَبَ الْحُبُّ إِحْرَامَ الْفَنَاءِ لَهَا
إِذْ كُنْتُ أَنْشَأُ إِحْرَامًا وَمُنْشِئُهُ

فَإِنَّهَا فَضَلَاتٌ فِيكَ كَالزَّنَمِ
فَإِنَّ مَوْقِعَهُ لَا شَيْءَ فِي الْقَدَمِ
فَلَا وَجُودَ لَهُ، وَاللَّهِ - ذَا! - قَسَمِ
وَلَا يَرَى أَحَدًا نَهَجًا سِوَى أُمَّمِ
وَنَهَجُهُ مُسْتَقِيمٌ، أَيْنَ ذُو قَدَمٍ؟
أَعْيَانَ لِلْكَلِّ وَالْأَرْوَاحِ لِلنُّسَمِ
إِلَيْهِ مُسْتَنَدَ الْأَحْيَاءِ وَالرُّسَمِ
بَرِئْتُ قَبْلُ دُخُولِي حَوْمَةَ الْحَرَمِ
قُدُوسٍ فَكَّرْتُ فِي تَقْبِيلِ مُسْتَلِمِ
جَبَّارٍ طَوْفًا عَلَى الْهَامَاتِ وَالْغَمَمِ
صَلَّى الْخَلِيلُ أَصْلِي تَلَوَّ مُحْتَشِمِ
وَالنُّورُ مِنْهُ سَعَى فِي النَّفْسِ وَالْإِدَمِ
جُلْمُودِ مَرَوَّةٍ بِالْأَشْوَاطِ مُخْتَمِي
إِنَّاؤُهَا الْحُرْمَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْحَرَمِ
وَالْحِلُّ يَحْكُمُ بِالتَّقْصِيرِ ذَا حَكَمِ
فَيَالِهَا عَزْمَةٌ مِنْ أَوْفَقِ الْعِزَمِ
ذَاكَ الْحَبِيبُ يَقِينًا لَيْسَ ذَا غَمَمِ



فِي مَوْقِفِ عَرَفَاتٍ وَسَمِ ذَا الْعَلَمِ
وَقُوفُهُ رَافِعُ التَّلْوِينِ وَاللَّمَمِ
وَذَا بِنُورِ جَمَالِ الذَّاتِ مُخْتَتَمِي
مِنِّي الْبَقَايَا حَوَى مُسَوِّدَةَ الْجَمَمِ
لَكِنَّ رَامِيهَا رَامِي قَوِي صَنَمِي
فَإِنَّهَا جَسَمُ الشَّيْطَانِ لَا جَسَمِي
رُؤْيَاهُ صَدَقَهَا فِي صُورَةِ الْغَنَمِ
وَالْحَلْقُ رَمَزٌ إِلَى إِفْنَاءِ ذِي الشِّيمِ
فَطَفْتُ لِلْحَجِّ وَاسْتَأْنَفْتُ مُتَزَمِي
وَالرَّمِي نَفِي ثَلَاثٍ فِي كَالْوَدَمِ
أَفْعَالُهَا أَشْبَهَتْ فِي أَعْيُنِ الْأُمَمِ
مِنْهَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقِيَمِ
وَهُوَ الَّذِي مَعَكُمْ فِي الْقَاعِ وَالْأَكَمِ
يُمْسِي يُكَذِّبُ أَوْ يَرْمِيهِ بِالْهَرَمِ
وَأَيْنَ بَكَّةَ وَالرُّكْبَانَ فِي اللَّقَمِ
شَيْئاً فَوَادَّهُمْ عَنْ فَهَمِ ذَاكَ عَمِي
سَتْ حِينَئِذٍ يَقْظَانُ لَمْ يَنْمِ

فَسِيرْتُ فِيهِ بِهِ حَتَّى وَقَفْتُ لَهُ
وَالْجَمْعُ بَعْدَ صَلَوَةِ الصُّبْحِ مُزْدَلْفُ
فَذَاكَ بَعْدَ زَوَالِ الرُّوحِ فَانِيَةٌ
وَعِنْدَ قُوَّةِ نُورِ الشَّمْسِ قَدْ فَنِيَتْ
طَفِقْتُ أَرْمِي وَلَا أَرْمِي حَصِيَّتَهَا
أَعْنِي أَنَا نَيْتِي طَرْدًا وَمَا تَبِعَتْ
وَكُنْتُ أَذْبَحُ نَفْسِي كَالْخَلِيلِ إِذَا
وَكُلُّ مَا تَبِعَتْهَا مِنْ غَرَائِزِهَا
ثُمَّ اسْتَقَمْتُ بِهِ فِيمَا أَمَرْتُ بِهِ
مِمَّا فَعَلْتُ بِنَفْسِي عِنْدَ مُعْتَمِرِي
مَنْفِيَّةٌ وَجَدْتُ بِاللَّهِ ثَابِتَةً
شَتَانٌ بَيْنَهُمَا فِي الْحَالَتَيْنِ بَدَا
تِلْكَ الْمَنَاسِكُ مَقْضِيَّاتُ صَاحِبِكُمْ
لَعَلَّ مَنْ سَمِعَتْ أُذْنَاهُ قِصَّتَهُ
يَقُولُ كَيْفَ؟ وَمَا حَانَتْ مَوَاسِمُهَا
هَذَا وَقَدْ غُذِرَا إِذْ كَانَ مَا سَمِعُوا
أَكَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَمْ يَكُونُ وَكُنْ.



كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ كَفَّتْ بِأَغْشِيَّةٍ
يَا أَيُّهَا الْعَارِفُ الْمُقْضِي حُجَّتَهُ
إِلَّا أَوْامِرَ تَشْرِيعٍ قَدْ امْتَثَلُوا
وَاسْتَسَعَدُوا بِنِعِيمٍ لَا يُكَدَّرُهُ
زُرْتُ الْحَبِيبَ إِذَا طَهَّرْتُ مُتَّبِعًا
خُذَهَا عَجِيبَةَ أَحْوَالِي فَمَا سَمِعْتُ
شُكْرًا لِأَنْعُمِهِ حَمْدًا لِقِسْمَتِهِ
وَسَدَّ إِذْ أَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِالصَّمَمِ
صَدَّقَ فَإِنَّهُمْ فِي الْحَجِّ كَالنُّعْمِ
فَاسْتَنْقِذُوا مِنْ عَذَابِ النَّارِ فِي الْخِصَمِ
خَوْفِ النَّفَادِ وَلَا التَّنْغِيسِ بِالشَّنَمِ
لَهْدِيهِ قَاضِيًا لِلْحَقِّ فِي الْعِظَمِ
أُذُنٌ نَظِيرَتَهَا فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
فَقَدْ رَضِيَتْ مِنَ الْجَبَّارِ بِالْقِسَمِ

* * *